تستطلع آراء مثقفي مصر في مصير حرية الإبداع

فن التنوير في مواجهة فكر الاستبداد وذهنية التحريم

"سنضرب بأيدٍ من حديد على يد كل الخارجين على النص"، "الفنون كلمة حق يراد بها باطل، والتمثيل والنحت والموسيقى من ثقافات الغرب الكافر"، "سنطهر مصر من دعاة الإباحية وأنصار العري والإغراء"، "الدين خط أحمر ومن يتجرأ عليه مثل نجيب محفوظ سنحاكمه بلا رحمة".. تلك التصريحات ومثيلاتها من بعض متشددي التيارات الدينية في مصر، أثارت حالة من التوجس والقلق سيطرت على الوسط الفني المصري بكل طوائفه من ممثلين ومؤلفين ومطربين وكتاب روائيين وقصصيين، خاصة بعد صعود هذه التيارات من إخوان وسلفيين إلى مقدمة الصفوف الحاكمة في المشهد السياسي والبرلماني المصري؛ فقد حصل الإخوان على٤٧٪ من مقاعد البرلمان، بينما حصل حزب النور السلفي على ٢٥٪ من هذه المقاعد، ومن ثم، يتوقع كثيرون أن يتم تقييد حرية الإبداع في مصر، وأن تظهر على الساحة المصرية من جديد معارك الجدل (الثقافي-الديني) بفعل هيمنة المتشددين والمنغلقين فكرياً وثقافياً-من هؤلاء وهؤلاء-على مواقع الفكر والثقافة. وكانت أحدث قضايا الصدام بين الإسلاميين والفن في مصر، ضد الفنان الكوميدي "عادل إمام" حيث تقدم أحد المحامين ويدعى "عسران منصور" برفع جنحة مباشرة أمام محكمة جنح الهرم، اتهم خلالها الفنان بازدراء الدين الإسلامي والسخرية من جلباب الإسلاميين ولحاهم ونقاب المسلمات، وذلك في أعمال فنية سابقة مثل أفلام "الإرهابي، طيور الظلام، حسن ومرقص، مرجان أحمد مرجان، ومسرحية الزعيم"، وهو ما أدى في النهاية إلى أن يتعرض الفنان الكوميدي المصري إلى الحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر.. هذه القضية تواكبت مع قيام مثقفي وفناني مصر بتكوين "جبهة الدفاع عن الإبداع وحق المعرفة" للوقوف في وجه أي طرف يدعو لتحجيم الإبداع بكل أشكاله وصوره في مصر، وهي جبهة تضم كل أطياف الفن المصري ممن جمعهم التمسك بقيم فن التنوير والأصالة، والخوف على مصير الحرية المبدعة من أعدائها الجدد.. "المدى" بدورها استطلعت بعض آراء مثقفي مصر ومبدعيها لمعرفة ملامح الصدام القائم بينهم وبين التيارات الدينية المتشددة.

القاهرة: خاص بالمدى من محسن حسن

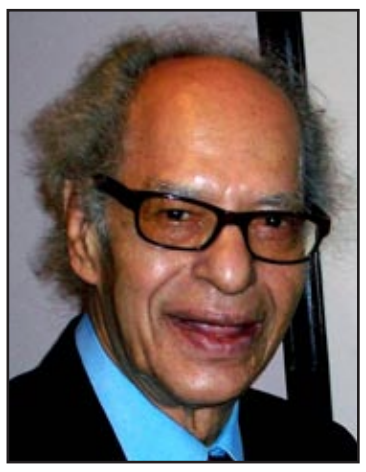

إبراهيم عبد المجيد: المصريون لن يسمحوا بالاستبداد الديني والإرهاب الفكري

إنعام محمد علي: الرهان على "رأى عام ضاغط" في مصر يكفل حرية الإبداع

أحمد طوغان: قضية عادل إمام حدث عابر، وبعض الإنتاج الفني غائب عن الوعي

زوبعة في فنجان

المخرجة "إنعام محمد علي". مخرجة مسلسل أم كلثوم. صرحت للمدى بأن حرية الإبداع في مصر لم تُمس، وأن جبهة الدفاع المكونة حديثاً لا تمثل سوى مجرد خطوة استباقية في مواجهة تعليمات رقابية متوقعة تحد من حرية الإبداع، لأنه لا توجد أدلة قاطعة الآن تؤكد سوء نية الإسلاميين تجاه الفن، كما أن المرحلة الحالية لم تشهد إنتاجاً فنياً ظاهراً للنور يمكن القياس عليه في هذا الإطار، ورغم رفضها لأسلوب القطيع في إدارة الأمور، إلا أن المخرجة المصرية تراهن على "رأى عام ضاغط" في مصر يكفل حرية الإبداع ويصعّب مهمة الواقفين في وجه التطور، ولكنها من ناحية أخرى ترى أن من واجب الوسط الفني دعم الفن الهادف البعيد عن تكريس التخلف والسلوكيات السلبية، بحيث لا يصبح الفن مجرد سلعة رخيصة هابطة يحركها المال، وضربت المخرجة مثالاً بمسلسلي "كيد النسا" و"سمارة" على الشاشة الصغيرة معتبرة إياهما مما لا يجوز بثه من سموم أخلاقية وسلوكية داخل إطار الأسرة المصرية، ونحت المخرجة باللائمة على جمهور سوقي همجي بذيء يلتف حول الغث ويهلل له بينما يهمل السمين ولا يلتفت إليه، مشيرة في نهاية حديثها إلى أن اختلاف وجهات النظر بين الجميع هو ظاهرة صحية مفيدة، وأن ما حدث مع "عادل إمام" ما هو إلا "زوبعة في فنجان" ستنتهي إلى لا شيء.

لا قيود على الإبداع

أما الشاعر والمستشار الحقوقي "محمد التهامي" فقد استهل كلامه بابتسامة عريضة عبر بها عن استنكاره لما يجري على الساحة المصرية من جدل حول هذا الأمر. حرية الإبداع. مؤكداً أنه على مدار عمره الطويل أنجز عشرة دواوين شعرية في كل الأغراض ومع ذلك لم يجد قيداً دينياً أو إسلامياً واحداً على الإبداع الفني، ومشيراً إلى ضرورة أن يدرك الإسلاميون طبيعة المواقف والتعبيرات الواردة في سياق الأعمال الفنية ؛ إذ أنها تختلف عنها في الحياة العادية، واعتبر التهامي أن ما قام به الفنان عادل إمام في أفلامه لا يعدو عن كونه رصداً للتناقض الصارخ بين المظهر والجوهر، الذي يبدو عليه بعض مدّعي التدين، وشدد على أن جمهور المشاهدين يدركون مثل هذه الفروق الدقيقة في الأعمال الفنية، ومن جهة ثانية استنكر الشاعر الكبير ذلك الهاجس المخيف الذي يسيطر على أقطاب الوسط الفني والإبداعي في مصر تجاه هيمنة الإسلاميين مؤكداً أنه توجس " لا محل له من الإعراب " لأن هدف هؤلاء في النهاية هو الحد من أعمال فنية رخيصة تهبط بمستوى الذوق والشعور والأخلاق، لذا فإن دعاة الحرية الهدامة هم فقط من سيشعلون معركة حامية الوطيس مع دعاة الحرية البناءة، واختتم التهامي كلامه بدعوة الجميع للحوار الهادئ البعيد عن التلاسن والاتهامات المتبادلة وساحات المحاكم.

حالة قلق

السيناريست الشهير والقاضي السابق "محمد صفاء عامر" عبر خلال حديثه للمدى عن "حالة قلق" يعيشها دائماً بسبب وجهة نظر من أسماهم بـ"مدعي الإسلام" تجاه الفن والفنانين، موضحاً تحفظه على استئثار أي جماعة أو تيار بالإسلام أو التدين، ومشيراً إلى أن مشكلة هؤلاء تكمن في أنهم حصروا الإسلام في مجرد شكليات وفي مجرد العلاقة بين الرجل والمرأة باعتبار المرأة متاعاً تجب مداراته وإخفاؤه، ويقرر عامر أن كل هذا لا يعدو عن كونه مجرد رأي خاص لهم قد يكون متطرفاً، ومن ثم فلا أحد ملزم بإتباعه، وفي تعليقه على الحكم الصادر ضد الفنان عادل إمام صرح السيناريست الشهير بأن هذا الحكم أعاد إلى نفسه هاجس القلق على الفن والفنانين بعدما اطمأن قليلاً إثر انعقاد مؤتمر جبهة الدفاع عن الإبداع، لكنه عاد فأكد أن ما طمأنه في النهاية أن ما حدث هو حكم محكمة صادر عن قاض اعتبره عامر " ضيق الأفق "، وأن هذا لا يمثل اتجاهاً فكرياً محكماً بين التيارات المتشددة في الوقت الحالي، خاصة في ظل تصريحات متضاربة من الجميع لم تستقر بعد على موقف محدد تجاه الفن وأهله، ورداً على سؤال هو: هل يمكن أن تغير من طريقة كتاباتك وفقاً لموقف هؤلاء من الفن؟ أجاب صفاء عامر بأن هذا سيكون مترتباً على موقفهم من حرية الإبداع والمبدعين، لكنه صرح في نهاية كلامه مؤكداً أنه في كل الأحوال لن يقبل وصاية من أحد على فكره وفنه، وأنه إذا وصلت المسألة إلى حد مصادرة حرية الإبداع فإنه سوف يتوقف عن الكتابة وعلى حد قوله "سيدعو لمصر بالسلامة" لأن وطناً بلا فن حر هو وطن فانٍ.

مصر مختلفة

أما الكاتب الروائي "إبراهيم عبد المجيد"، فيقرر أن المشكلة القائمة في مصر بين المبدعين من جهة، والتيارات الدينية من جهة أخرى، متمثلة في الإخوان والسلفيين، مردها إلى عدم إدراك الطرف الثاني لطبيعة مصر المختلفة فنياً وثقافياً وحضارياً تلك الطبيعة التي لا يمكن التعامل معها بمنطق الفكر القادم من الصحراء، في الوقت الذي أصبح فيه الفن المصري بكل إبداعاته ومبدعيه عبر العصور القديمة والحديثة، دليلاً واضحاً على رقي الروح والجسد معاً، ولكن الإسلاميين يضربون بكل ذلك عرض الحائط، منشغلين فقط بثقافة المظهر لا الجوهر، فتراهم في صراع دائم مع مفاهيم ودلالات الصورة خاصة إذا تعلق الأمر بجسد أنثى، وهو ما يجعلهم واقعين على الدوام في خطأ الالتباس بين معطيات العقائد الدينية من ناحية، ومعطيات الفنون الراسخة من نحت ورسم وعمارة من ناحية أخرى، وحول مخاوفه القادمة على حرية الإبداع في ظل هيمنة الفكر الديني، أشار عبد المجيد إلى أنه يراهن على الشارع المصري الذي لن يقبل أو يرضى أي نوع من أنواع الاستبداد الديني أو الإرهاب الفكري، كما نصح الإسلاميين بضرورة تعلم أسس النقد الصحيح للروايات والأفلام، والتفريق بين الشخصية الروائية وشخص الكاتب والروائي، وإن مكونات الشخصية المصرية وثقافتها تختلف تماماً عن مكونات أي ثقافة أو شخصية سواها.

ردّة محتملة

ومن جانبه، أعرب الفنان التشكيلي الشهير "أحمد طوغان" للمدى عن رأيه الخاص في مسألة مصير حرية الإبداع في مصر بعد الثورة، مقرراً أن السؤال عن هذا المصير لا يزال سابقاً لأوانه؛ لأن الوضع في مصر مختلف عن سابقه، ولأنه لم تتضح بعد التوجهات العملية والتطبيقية للتيارات الدينية تجاه الفن والفنانين، وأنه إذا كنا نعترف بوجود تصريحات خارجة عن المألوف ضد الفنون في مصر مثلما أشاعوا أنهم سيقومون بتغطية التماثيل بالشمع أو أنهم سيقومون بتشويهها لإزالة الحرمة والهيبة عنها، فإن الواضح حتى الآن أن كل هذا هو مجرد محاولات من البعض لإثارة الفتنة وتخويف الناس من "ردة محتملة"، واعتبر طوغان أن قضية الفنان عادل إمام حدث عابر لا يمثل زلزالاً قوياً في بناء حرية الإبداع في مصر، خاصة وأن مثل تلك القضايا حدثت قبل ذلك في العهد الناصري، وفي ما تلاه من عهود وتحدث في كل الدنيا، وأكد التشكيلي الشهير أن ثورة المصريين حقيقية مستعصية على الردة والرجوع للوراء مثلها مثل الفن والفكر والأدب، ورداً على سؤال: هل من حق التيارات الدينية أن تثير معاركها مع المثقفين والفنانين؟ أجاب طوغان بلا وبأنه ليس من حقهم ذلك، معترفاً بوجود إنتاج فني "غايب عن الوعي" على حد قوله، هدفه الإثارة وخدش الحياء العام من أجل الدخل والاستثمار، وهو ما يعتبره طوغان حقيقاً بالمثول أمام القضاء ليقرر القانون مدى مخالفته للذوق العام وتعديه على الخصوصية الأسرية.

وسطية هاضمة

أما الشاعر الطبيب "أحمد تيمور"، صاحب أشهر صالون ثقافي في مصر يجمع الفنانين والمثقفين والكتاب، فقد شكك في حديثه للمدى في قضية عادل إمام، معتبراً أنها من الممكن أن تكون جزءاً من حملة مغرضة للوقيعة بين الفنانين والتيارات الفكرية الأخرى، ونافياً أية مخاوف لديه على حرية الإبداع في مصر؛ حيث أكد أن التيارات الدينية المصرية جزء لا يتجزأ من النسيج المصري، وأن ما يتردد بشأن نواياهم القادمة في مصادرة الإبداع وتحجيمه، هو ضرب من المبالغة غير المقبولة والمعارك المفتعلة ؛ لأنه حتى الآن لم يتم إيقاف أي عمل فني مهما كان نوعه وجنسه. وعوّل الشاعر الكبير على ما أسماه بـ"الوسطية المصرية" تلك التي ستقوم في رأيه بهضم كل الأطراف المختلفة فكرياً وأيديولوجياً، وأشار إلى أنه إذا كان من مهمة الفن أن يقوم بتعرية النفس الإنسانية وكشف الغث والسمين فيها، فإنه يجب أن يكون الإبداع مكتسياً بعدم الغلو في العري والإسفاف، وعلى الفنانين والمبدعين أن يتحسبوا ذلك في إنتاجهم وإبداعاتهم دون الدخول في معارك مفتعلة، لأن الإسفاف غير مطلوب في ساحة الإبداع، وفي ختام كلامه قرر تيمور أنه عندما يعتمد الفن على أدواته الحقيقية، فسوف تختفي كل حالات التوجس والخوف لدى المبدعين.

أحمد تيمور: وسطية المصريين هاضمة لكل الخلافات، وقلق الوسط لا محل له من الإعراب

محمد التهامي: أنجزت عشرة دواوين شعرية في كل الأغراض ولم أجد قيداً إسلامياً واحداً على حرية الإبداع

محمد صفاء عامر: لو صادروا الإبداع سأتوقف عن الكتابة وأدعو لمصر بالسلامة

منطقة محررة

▪ نجم والي

في ذكرى البوسني الكسندر تيشما

قبل وفاته بوقت قصير، قال الكسندر تيشما في مقابلة معه بأنه لا ينتمي إلى صنف المفكرين الكبار، لكن هذا لا يمنعه من قول انطباعاته بشكل عام: "قرأت خواطر قليلة وفلسفة أقل. ذات مرة كنت ضيفاً عند صديق، فتصفحت عنده بالصدفة أحد أجزاء كتاب الانعكاسات لروخي فوكو. عند قراءتي لبعض المقاطع عرفت أن كل فكرة تقريباً يمكن أن تحمل معنى معاكساً لما تقوله في الظاهر وبنفس قوة الإقناع". كان تشيما محقاً بتعريفه لنفسه، فقد ظل شخصية بسيطة حتى وفاته. وكان كلما تقدم به السن كلما راحت شخصيته تقترب من شخصية الفلاح اكثر منه من الكاتب. حتى في مظهره وطريقة لبسه إذ واظب على لبس تلك البدلات التي اعتاد رجال البلقان على لبسها أثناء خروجهم للنزهة في المدينة ليحتفظوا بالصداقة وبالمأكولات الشهية والجنس، مثلما ترسم في نفس الوقت الجحيم المصنوع من التعذيب والإبادة الشاملة والعواصف الثلجية والخوف الغريزي من الموت. طبعاً ظلت الثيمة المركزية التي دارت حولها هي المذبحة التي حدثت في شتاء ١٩٤٢، على يد كرواتيين نازيين ضد السكان اليهود الصرب في مدينته "نوفي ساد" عندما أعدموا رمياً بالرصاص أكثر من ألف شخص أعزل، أطفال ونساء وشيوخ قُطعت أوصالهم ورُميت في حفرة عميقة في نهر الدانوب المتجمد. أما مكان المذبحة هذه فقد كان مسبحاً عاماً؛ في إحدى قصصه الحزينة جداً صور تيشما المكان بكل مفارقاته: أولاً بصفته مسبحا صيفيا مليئا بالذكريات وثانياً بصفته مكانا للوحشية. عندما حدثت المجزرة كان عمره ١٨ عاماً، وكان والداه مثل معظم سكان "نوفي ساد" من قوميتين وديانتين مختلفتين، الأب صربي والأم يهودية هنغارية – لم يكن زواجاً غريباً بالنسبة للمدينة المتعددة القوميات نوفي ساد. أما الخادمة التي عملت في البيت فقد علمته في طفولته، اللغة الألمانية والفرنسية. لم ينس تيشما هذه الفتاة "الذكية واللطيفة" وجعل خيالها يطوف عبر معظم رواياته الأخيرة. أما الحرب العالمية الثانية فقد نجا منها عبر ما أطلق عليه لاحقاً "التجاهل"، أو ما سماه "التقليل من الشأن ذاته": كعامل إجباري في حفر الخنادق العسكرية بمواجهة الدبابات الروسية، أو كموسيقي في وحدة عسكرية للعزف الموسيقي (رغم جهله بالعزف على أية آلة موسيقية). أما لأدبه بعد أزمة وحروب البلقان في نهاية الثمانينات. هكذا تحول تيشما في التسعينات إلى أكثر كتّاب البلقان، والبوسنة بالذات، المُحتفى بهم. كانت بالضبط تلك السنوات التي بدأت فيها "دولة البارتيزان" التي أسسها تيتو تتقطع إلى أوصال صغيرة؛ وفي تلك السنوات دبّ الحماس من جديد عند تيشما ليبدأ بكتابة عمله الروائي الضخم المتسلسل الذي قدم فيه بانوراما شاملة عن سنوات الحرب العالمية الثانية التي عاشتها يوغسلافيا، حيث الأوتيشا الفاشية، وإبادة اليهود والمقاومة الصربية ونهاية طرد الأقلية الألمانية. الحصيلة هي أربع روايات ومجموعة قصصية. بسرعة ترجمت أعماله للغة الألمانية، لنتعرف فيها إلى روائي عبقري ينتمي إلى أولئك الروائيين الكلاسيكيين العباقرة. صحيح أنه لم يكن تجريبيا مثل جويس وفوكنر ولم يصور كل شخص بورجوازي بتعرجات حياته الداخلية، إلا أنه نجح في تصوير مسارات الكائنات الصغيرة، وتشريح التراجيديا المرسومة للهولوكوست البشري: المُطارَدون والمقتولون، الجلادون والضحايا الذين ظلوا على قيد الحياة. وأكثر من كل شيء، صور أولئك الذين يحملون الاثنين في داخلهم، الذين هم جلادون وضحايا في الوقت نفسه، كما كتب في يومياته التي ظهرت بعد وفاته. الكسندر تيشما الذي تمر الذكرى العاشرة لوفاته العاشرة في هذه الأيام هو أحد الكتّاب المهمين الذين للأسف مازالوا مجهولين لقراء اللغة العربية!